أعـدّ ذكـره

أعِـد ذِكْـرَهُ ! فَهْـوَ الصَّـدَىٰ يَتَجَـدَّدُ
وَعُمْـرٌ لَـهُ، فِي مُلْتَقَـىٰ الحُب يُـولَـدُ
وَعَطـر بِـهِ أجْـوَاءَنَـا فَهْـوَ كَـالشَّـذَا
وَنَـوِّر بِـهِ ظَلْمَـاءَنَـا فَهْـوَ فَـرْقَـدُ !
تَمُـرُّ اللَّيَـالِي وَهْـوَ كَـالطَّوْدِ شَـامِخٌ
لَـهُ فَـوْقَ هَـامِ العَبْقَـرِيَّـةِ مَقْعَـدُ
مَنَـارَةُ إشْعَـاعٍ وَنَهْـرٌ عَطَـاؤُهُ
تَـوَاصَلَ فَيْضـاً لَـمْ يَغِض مِنْـهُ مَـوْرِدُ
سَمَـا لِلْمَعَـالِي وَالمَنَـابِـرِ يَـافِعـاً
وَحَلَّقَ فِـي آفَـاقِهَـا وَهْـوَ أمْـرَدُ !
تُشَـدُّ لَـهُ الأنْظَـارُ فَهِيَ شَـوَاخِصٌ
وَتُصْغِي لَـهُ الأسْمَـاعُ وَهْـوَ مُغَـرِّدُ
تَفَتَّقَ فِـي أوْجِ الصِّبَـا عَـنْ مَـوَاهِبٍ
كِبَـارٍ وَعَـزْمٍ كَـاللظَّـى يَتَـوَقَّـدُ
إذَا قَـالَ : أمَّـا بَعْـدُ أنْسَـاكَ دُرُّهُ
لآلِئُ فِـي جِيـدِ الكَـوَاعِـبِ تُعْقَـدُ !

وَهَـــزَّكَ قُسٌ وَاسْتَمَعْتَ ابـنَ ثَـــابِتٍ
يَصُـوغُ القَــوَافِي فِي عُكَــاظَ وَيُنْشِـدُ !
سَجَـــايَـــا عَظِيمٍ لَمْ يَنَلْهَـــا تَخَلُّقـــاً
وَلَكِنَّهَـــــا خُلْـقٌ أصِيـلٌ وَمَحتِـــــدُ
وَفِكْـــرٌ رَحِيبُ الأفْقِ فَـــاضَ مَعِينُـــهُ
فَأعْطَـىٰ مِنَ الإبْـدَاعِ مَـــا لَيْسَ يَنْفَـــدُ
تُـــرَاثٌ سَيَبْقَـىٰ فِي الحَيَـــاةِ مَنَـــارَةً
بِمَـــا شَـادَ لِلْعِـــرْفَـــانِ وَالفِكْـرِ تَشْهَـدُ
تَمَلَّىٰ رَحِيـقَ العِلْمِ فِي خَيْـــر مَعْهَـــدٍ
وَعُمْـــرُهُ كَـــالغُصْـنِ الـــذِي يَتَأوَّدُ
وكَـــانَـتْ بِـــهِ أيَـــامُـــهُ الغُـــرُّ شُعْلَـــةً
وَصَيْحَـــاتِ بَعْثٍ عَبْـــرَهُ تَتَجَـــدَّدُ
أقَضَّ بِهَـــا جَنْـبَ الغُـــزَاةِ وَزُلْـــزِلَت
دُمَـــاهُ فَـأضْحَىٰ خَـــائِفـــاً يَتَـــرَصَّـــدُ
وأيْقَظَ شَعْبـــاً كَـــانَ فِي القَيْـــدِ رَاسِفـــاً
يَعِيشُ عَلَى المَـــاضِـي وَلَيْسَ لَـــهُ غَـــدُ
فَثَـــــارَ عَلَـى أعْـــــدَائِهِ مُتَمَـــــرِّداً
وَمَنْ دِيـسَ فِي أوْطَـــانِـــهِ يَتَمَـــرَّدُ !

* ● *

وَيَـوْمَ نَفَـاكَ الغَـاصِبُـونَ تَـوَهَّمُـوا
بِأن انتَفَـاضَ الشّعْبِ بَعْـدَكَ يُخْمَـدُ
فَمَـا اسْتَقْبَـلَ (الكَـابُـون) إلاَّ مُجَـاهِـداً
لَـهُ حَيْثُمَـا ألْقَـوْا بِـهِ مُتَعَبَّـدُ !
وَلاَ انْطَفَـأتْ نَـارٌ وَخَلْفَـكَ أُمَّـةٌ
لَهَـا مَـعَ نَصْـرِ اللهِ لِلْحَقِ مَـوْعِـدُ !
أرَادَت فَكَـانَ اللهُ خَلْفَ مُـرَادِهَـا
وَقَـرَّبَ مِنْهَـا مَطْمَحـاً كَـانَ يَبْعُـدُ
نِـدَاؤكَ مِنْ أرْضِ الكِنَـانَـةِ لَمْ يَـزَلْ
يُـدَوِّي صَـدَاهُ فِي القُلُـوبِ وَيُـرْعِـدُ
تَعَبَّأ فِيـهِ الشّعْبُ وَانْقَـضَّ غَـاضِبـاً
عَلَى دُمْيَـةِ المُحْتَلِ يُـرْغِي وَيُـزْبِـدُ
مَـلاَحِـمُ خُضْنَـاهَـا وَسُقْنَـا مُهُـورَهَـا
ضَحَـايَـا عَلَى بَـابِ الكَـرَامَـةِ تَسْجُـدُ
وَمَـا رَاعَنَـا إلاَّ رِفَـاقٌ تَنَكَّـرُوا
وَجَـارٌ لَنَـا بَعْـدَ المَسِيـرَةِ يَحْقِـدُ !
تَنَـاسَى دِمَـانَـا فِـي خَنَـادِقِ أرْضِنَـا
وَنَحْنُ عَلَى الأعْـدَاءِ فِي حَـرْبِهِم يَـدُ !

* ● *

ذَكَـــرْتُـكَ وَالأهْـــوَالُ تَعْصِـفُ أُمَّتِي
وَصَهْيُـونُ فِي القُـدْسِ السَّلِيبِ تُعَـرْبِـدُ !
تُحَـــاصِـــرُ أهْلِينَـــا، وَتَقْتُلُ طِفْلَنَـــا
وَتُعْـــدِمُ مِنْهُم مَنْ تَشَـــاءُ وَتَطْـــرُدُ !
تَمُـــدُّ يَـــدَيهَـــا وَهِيَ فِي عُقْـــرِ دَارِنَـــا
إلَى كُـلِ قُطْـــرٍ فِيـــهِ مَـــاتَتَصَيَّـــدُ
وَتَقْتُـلُ مِنْ أبْطَـــالِنَـــا كُلَّ مَعلَـمٍ
تَـــذُوبُ لَـــهُ أكْبَـــادُنَـــا حِينَ يُفْقَـــدُ
تَقُـــومُ لَهَـــا الـــدُّنْيَـــا وَتَلْعَنُ مَكْـــرَهَـــا
وَلَكِنَّهَـــا فِي آخِـــرِ الأمْـــرِ تَقْعُـــدُ !
وَأنْتَ الـــذِي كَـــرَّسْـــتَ عُمْـــرَكَ وَاهِبـــاً
فِلِسْطِينَ مَـــالَـمْ يُعْطِهَـــا مُتَجَنِّـــدُ
وَكَـافَحْتَ فِي أسْمَى القَضَـــايَـا مُـوَدِعـاً
وَشَعْـبُ فِلِسْطِينٍ بِـــــهِ تَتَشَهَّـــدُ !
وَوَدَّعْتَ دُنْيَـــا العُـــرْب وَهِيَ شَـــرَاذِمٌ
وَفِي القَلْبِ جُـرْحٌ مِنْهُمُـو لَيْسَ يُضْمَـدُ !
لَقَـــدْ تَعِبَ البَـــاكُـــونَ بَعْـــدَكَ وَانْتَهَـــوا
إلَى اليَأسِ مِنْ قَـــوْمٍ أبَـوا أنْ يُـــوَحَّـدُوا
ضِعَـــافٌ أمَـــامَ الغَـــاصِبِينَ أعِـــزَّةٌ
عَلَى قَـــوْمِهِم، أسْيَـــافُهُم لَيْسَ تُغْمَـــدُ !

تَــوَالَتْ مَــآسِي العُــرْبِ حَتَّى كَأنَّهَــا
مَــلاَهٍ عَلَى أوْجَــاعِهَــا قَــدْ تَعَــوَّدُوا

* ● *

دَعَــانِي وَفَــائِي لِلِــرثَــاء وَلَــمْ أكُنْ
بِغَيْــرِ وَفَــائِي شَــاعِــراً قَــدْ أُجَــودُ
وَمَــا كَــانَ مَــا أنْشَــدْتُ فِيكَ قَــوَافِيــاً
وَلَكِنَّهَــا أجْــرَاسُ حُبٍ تُــزَغْــرِدُ
مَضَيْتَ لِمَــا نَمْضِي، وَكُــلُّ مُسَــافِــرٍ
سَيَبْلُغُ لِلْمَسْــرَىٰ وَإنْ كَــلَّ مُجهَــدُ
وَمَــا هِيَ إلاَّ رِحْلَــةٌ ثُمْ تَنْتَهِــي
وَنَــرْقُــد يَــوْمــاً فِي الثَّــرَى حَيْثُ تَــرْقُــدُ
لِــرُوحِكَ مِنْ كُــلِ المُحِبِينَ دَعْــوَةٌ
تُعَــرِّجُ فِي الــذِّكْــرَى إلَيْكَ وَتَصْعــدُ
ونَحْنُ كَمَــا قَــالَ السَّمْــوَألُ أُمَّــةٌ
إذَا سَيِــدٌ مِنَّــا خَــلاَ قَــامَ سَيِّــدُ !